مجلة الرائد

العدد : ١٩٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/٨ ميلادي

عنوان المقال : فضاء وهمسات	بقلم : محمد بن محمود

حطت القنوات الفضائية رحالها في أجواء المسلمين المقيمين بالغرب منذ ما يزيد على عشر سنوات وما فتأت تتسلل إلى اليوم ، ولقد استبشر هؤلاء المغتربين خيراً كالذي وجد ضالته المفقودة بأرض فلات ، ووجدوا فيها المؤنس والمخفف من وطأة الغربة ، والقرب من الأهل والأحباب ، وظن فريق ثان أنه وجد خير معين لأبنائه ، علهم يستمعون إلى مادة إعلامية مثمرة تقدم بالعربية ويستمعون إليها من مصادرها الأصلية القحة... أقبل الجميع على هذه القنوات حتى أنه صار بإمكانك الآن أن تميز في بعض الأحياء ، المنزل الذي يسكنه عربي عما سواه بوجود " الصحن الهوائي " على سطح المنزل أو في واجهته . ولكن تبددت فرحة البعض وخاب ظنهم ، واستمر زهو البعض الآخر وتنامى وترسخ.

فالذي كان ينتظر مادة إعلامية في المستوى المطلوب من حيث المعنى والمبنى ، لم يجد إلا القليل اليسير ، كبعض البرامج الأخبارية أو العلمية ، أو البرامج الدينية الاجتماعية ، أما على مستوى برامج الأطفال فلا يكاد يوجد إلا الرسوم المتحركة الخالية في الغالب من معاني تربوية تثقيفية مفيدة ، هذا إذا تركنا الحديث عن الميوعة والتفسخ الأخلاقي والانحطاط القيمي . والذي كان يبحث عن أي شيء يملأ به فراغه فرضي وشكر ، وجلس على المقعد أمام الرائي وأصبح لا هم له سوى ذلك ، بل أصبح يقضي الساعات الطوال وهو يتجول في الوطن العربي بالمجان ودون أن يركب طائرة أو باخرة ، ليحصل في الأخير على لا شيء ، وليته علم بأن الله سائله عن وقته الضائع فيما لا يفيد .

ولو عدنا إلى القسم الأول أي الذين يختارون ما يفيد ويتركون ما لا يفيد ، فإننا نلحظ إقبالاً كبيراً من مختلف بلاد أوروبا على البرامج الدينية أو التي تحقق فائدة ما ، ونلمس هذا الاهتمام في عدد المكالمات الهاتفية و "الفاكسات" التي تصل إلى منظمي بعض هذه البرامج ، وما يدور من حديث حولها في مجالس المسلمين المقيمين في الغرب . وهذا مؤشر جيد يمكن أن يكون "ورقة ضغط" على أصحاب هذه القنوات ليكثروا مما هو مفيد ويبتعدوا عما يشيع الفساد في البر والبحر ، ولكن يجب ألا يتصل ذلك إلى حد الولع بهذه المحطات ، فإذا أمكن اتخاذ بعض الوسائل لإصلاح بعض الجوانب ، والدعوة لذلك وتطوير ما هو مفيد والدعوة لإكثاره ، فلنفعل دون أن يصير ذلك من اهتماماتنا الأولى ، وعلى حساب واجبات أساسية ، يفرضها العمل الإسلامي في الغرب .

وقبل أن أنهي هذه الوقفة أحب أن أهمس ببعض الهمسات :

- الهمسة الأولى في أذن المنظمات الإسلامية العالمية والإقليمية خاصة تلك التي ترفع شعار تبنيها لقضايا الأمة المسلمة والمسلمين في كل مكان ، وتعقد المؤتمرات لذلك وتصرف عليها الأموال الطائلة ، أهمس في أذنها لأقول لها بأن في الغرب أمة مسلمة يصل تعدادها إلى الملايين وهي في حاجة ماسة إلى قناة فضائية (منبر إعلامي على كل حال) يجدون فيه المادة المفيدة التي تنمي الثقافة الإسلامية وتبرز معالمها ، ويجد فيها أبناؤهم البرامج التي تربي على الإسلام وتساهم في إيجاد الفرد الصالح المسؤول ، ولا أريد أن أعرض هنا ما قاله المختصون الخبراء بنفس الطفل عن مدى تأثير الرائي على تربية النشء . من الضروري أن يولد هذا المشروع ويكون موجهاً للمسلمين بالغرب بعد دراسة ظروفهم من كل الجوانب...

- أما الهمسة الثانية فهي للمحطات الفضائية نفسها ، وهي من عند ابنتي التي لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها : الظاهر أنها شاهدت على إحدى شاشات المحطات الفضائية وبمناسبة عيد الفطر برنامجاً عن سيرة الرسول ﷺ ، وبعده بأسابيع أي بمناسبة عيد الأضحى تبين لها بأن نفس البرنامج يعرض في محطة فضائية عربية أخرى ، فقالت لي : أليس لديهم شريط آخر يعرضونه ؟... وباستقراء وضع مثل هذه الأشرطة التي فيها فائدة لا بأس بها تبين بأنها تعد على الأصابع ومنذ عشرات السنين لم يزدد عددها ، فيا أيتها المحطات الفضائية ، ما دمت قد وضعت في برنامجك الاهتمام بالمناسبات الدينية فحددي على الأقل المادة المعروضة ولا تتركي الأطفال ينتقصون منك ، هذا إن لم تقل لك : اعرضي إنتاجك على العلماء الثقات قبل عرضه ، واستمعي إلى نصائحهم وتوجيهاتهم .

- وأغتنم الفرصة لأهمس في أذن بعض الغربيين : في إحدى البلدان الغربية الأوروبية انزعج حزب سياسي من وجود المحطات الفضائية العربية بحجة أنها تعرقل عملية اندماج الأطفال وشباب المهاجرين في المجتمعات الغربية إلى درجة أنه استطاع أن يفرض في بعض المناطق ضريبة مالية على كل من يمتلك صحناً هوائياً ، طبعاً بعدما تأكد أن كل الذين يسكنون هذه المناطق من المهاجرين ويمتلكون هذه الصحون هم عرب خاصة أو أتراك . أقول لهؤلاء " المُدمِجين " : لا تخشوا شيئاً فإن بعض هذه المحطات العربية قد فاقتكم في كثير من الأشياء التي تريدون تلقينها لأبنائنا وبالتالي فهي تساعدكم... ، كما أن الكثير من أبناء المهاجرين ولعدم إتقانهم للعربية لا يجدون الميل الكبير لما يعرض . أما إذا كان خوفكم من العربية لأنها لغة القرآن ، وتعلمها يساهم في إنماء العاطفة الدينية

ويقرب أكثر من الإسلام فإني أسألكم هنا عن حرية التدين والاعتقاد التي تروجون لها في كل آن وحين ، وعلى كل منبر إعلامي ، وهل يشترط في الاندماج المزعوم تغيير الدين والمعتقد .